





تفرض الحركة « الخارزمانية » ، الآتية من أميركا والتي
تنتشر الآن في سائر أنحاء العالم ، تمييزاً دقيقاً للأرواح . إنها
تشكل تحدياً لا بد منه بقدر ما تذكر أن الحياة المسيحية هي ،
قبل كل شيء ، كما يقول القديس سرافيم ساروفسكي ، في
« اقتناء الروح القدس » . وانها لا تكمن ، كما يعتقد البعض ،
في مناقبة ناموسية أو انشاء ايديولوجي أو ممارسات ثقافية
معينة ، بل هي العيش في نار العنصرة ونقحاتها . . .
في عالم مسيحي ينصرف اهتمامه ، بشكل خاص ، إلى
السياسية الاجتماعية ، ويتجه فيه الشباب المتعطش إلى الخبرة
الروحية نحو روحانيات الهند والشرق الأقصى ، تذكر
الحركة « الخارزمانية » أن المسيحية هي ، قبل كل شيء ،
« قدرة الروح » ، التي يتكلم عنها بولس الرسول ،
وتشهد لها « أعمال الرسل » في كل واحدة من صفحاتها .
يأخذ الأرثوذكس يون ، في كثير من الأحيان ، على

مسيحي الغرب تقليلهم من أهمية شخص الروح القدس ودوره . لذلك لا بد لنا من الاغتباط والحمد على تزايد العطش إلى الروح وعلى كون الروح يظهر حقاً - ما عدا بعض المظاهر الشاذة - في كثير من المناسبات في أيامنا ، مما يدعونا أيضاً إلى التواضع والانتباه .

لكن الحركة « الخارزمية » تنحو مناحي خطيرة ، إذ تُبرز غالباً بعض الحوادث العجائبية التي قد ترتبط بالمجال النفسي أكثر مما ترتبط بالمجال الروحي الصرف . . . ويلاحظ أيضاً ، في تلك الحركة ، اندفاع نحو المثير ولجوء إلى التهرب من الواقع التاريخي . ويحدث أحياناً أن يجعل اتباع هذه الحركة التركيز على الروح على حساب الصليب وان ينسوا كلياً الكنيسة « سرّ المصلوب القائم من بين الأموات » .

لا بد من الإشارة أخيراً إلى أن الحركة « الخارزمية » ميّالة إلى خلق العديد من الفرق الصغيرة تجتمع حول « قادة » ينتاب بعضهم نوع من الهيجان النفسي . بعض هذه الفرق لا تبقى فكثيراً ما تجتمع حول تآثر عاطفي معين تزول بزواله وغالباً ما تصبح هذه الفرق هامشية بالنسبة للكنيسة الكبيرة ، أو هي تسعى إلى صدع وحدتها .

لم تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية يوماً أن مواهب الروح قد شحّت بانتهاء العصر الرسولي ، لأن الكنيسة هي رسولية باستمرار ، ليس فقط بمعنى خلافة الأساقفة الرسولية ، بل لأنها ، بكليتها ، تشاهد ربها حياً وتتقبل منه هبات الروح ، كما انها ، بكليتها ، مُرسلة الى البشر لأجل خلاصهم وشفائهم (إذ أن كلمة « رسول » تعني « المُرسَل ») . بهذا المعنى كل تاريخ الكنيسة معاش في أعمال الرسل .

يظهر الروحانيون من جيل إلى جيل ، حاصلين على مواهب مختلفة : النبوة ، الشفاء ، تمييز الأرواح الذي هو علامة الأبوة الروحية الحقة . يُدعى هؤلاء « رسوليين » لأنهم يرون المسيح في نور الروح ويُرسلون من قبله الى البشر .

لم تتوقف أبداً هذه الخدمة الخارزمية . يكفي أن نسمي ، في القرن العشرين ، « الستارتس » سلوان من الجبل المقدس ، أو « الشيخ » الأب أمفيلوخوس في جزيرة بطمس ، وفي أيامنا هذه « الشيخ » الأب بايسيوس من جبل آثوس ، أو في إنكلترا أحد تلاميذ الستارتس سلوان ، الأب صفرونيوس . . .

وقد اعتبرت الكنيسة الأرثوذكسية إبداع رسّام الأيقونات

وكل إبداع جمالي وكذلك خدمة الطبيب غير المهتم بالفضة (anargyre) ، والالتزام الحكيم المعطاء في السياسة (ليس فقط في مثال « الأمير القديس » في روسيا) الكسندر نيفسكي ، بوريس وغليب الخ . . .) ، بل أيضاً في مثال رجال السياسة في مجتمع ديموقراطي ، كما أكد القديس نكتاريوس الايجيني^(١) ، وكذلك حياة السكاف المتواضعة أو العمل البيتي ، كما يشهد على ذلك العديد من القصص التي كان يرددها آباء الصحراء . اعتبرت كل هذه الأمور كمواهب من الروح إذ ترفض الأرثوذكسية أي هرب خارج التاريخ . وهكذا ، لم تحصر أبداً الكنيسة الأرثوذكسية ، حتى في عصور « العالم المسيحي » (chrétienté) التي تعدّناها اليوم ، مواهب الروح بالتكريس الرهباني ، مع العلم أن الحياة الرهبانية لعبت في هذا المجال الدور المثالي ، ويجب أن تستمر في الاضطلاع بهذا الدور في أيامنا هذه .

من جهة الثانية ، لم يلفت الانتباه بما فيه الكفاية للتهضة الإزيقية^(٢) في القرن الرابع عشر حيث اعتبر القديس

(١) عاش من ١٨٤٦ الى ١٩٢٠ وأسس ديراً في ايجينا وقد أعلنت قداسه منذ زمن غير بعيد (الناشر) .

(٢) راجع « الكنيسة الأرثوذكسية ، في الماضي والحاضر » ، الفصل الثالث ، لتيموني وير ، منشورات النور (الناشر) .

غريغوريوس بالاماس ونيقولا كاباسيلاس (وكان علمانياً)
 أن نصوص أعمال الرسل والرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس
 القائلة بأن الاجتماع الافخارستي هو مكان تدفق المواهب
 الطبيعي ، تنطبق على الجماعة الكنسية كلها .
 وقد شدّت كل الحركات النهضة في الكنيسة
 الأرثوذكسية منذ إصدار الفيلوكاليا^(١) السنة الـ ١٨٠٠ حتى
 أيامنا هذه ، على الجماعة الافخارستية كجماعة أحياء . وفي
 الوقت نفسه أكد التقليد الأرثوذكسي بشدة على ضرورة
 التوبة كإنقلاب في القلب (Metanoia) والتواضع واليقظة
 (nepsis) الراضية للمثير ، والمفضلة للألم اليومي الصبور
 في عيش سرّ الصليب والقيامة ، على الإثارات والعواطف
 الكبيرة . وقد أعطى هذا التقليد، متبعاً بذلك بولس
 الرسول ، الأوليّة للرافة ومحبة الأعداء الإنجيليين .
 وكذلك شدّد التقليد على الخبرة الليتورجية كتجاوز
 للمحدودية والانكماشات الشخصية ، للوصول إلى السلام
 بواسطة الجمال ، حيث لم يعد الإنسان يهتم بذاته بل يُحمل

(١) مجموعة من النصوص الروحية لكبار الأباء وقد صدر بعض من
 مضمونها في « فصول في الصلاة والحياة الروحية » ، سلسلة « آباء
 الكنيسة » رقم ٥ ، منشورات النور (الناشر) .

في نهر التسييح الكنسي النوراني . من هنا انزعاج المؤمنين
الأرثوذكسيين عادة من الصلوات المرتجلة « العفوية »
ومظاهر التعبد العجيبة المثيرة . . .

ولكن سيكون من الخفة بـمكان أن تتجاهل الكنيسة
الأرثوذكسية الحركة الخارزمية أو أن ترفضها بدون تمييز .
يдахم الأرثوذكسية خطر التقوية الليتورجية ، لذلك يجب
أن تكون الحركة الخارزمية ، بالنسبة لها ، بمثابة تنبيه
ودعوة لتجاوز الرتابة والروتين . ليست الأرثوذكسية بحاجة
لطعم من الخارج ، لكنها بحاجة ماسة إلى إحياء أفعال
الروح القدس الكامنة فيها وإظهارها . حقيقة الكنيسة أن
تكون جسد المسيح « السري » حيث تقيض قدرة القيامة ،
أي مواهب الروح القدس ، لأن جسد المسيح هو « الجسد
الروحاني » (Sōma Pneumatikon) ، المتأجج عميقاً بنار
الروح القدس . ولقد اختبر الكثيرون من المؤمنين
الأرثوذكسيين انه يكفي بالشيء البسيط (إذا عبّر عن نهضة
كنسية حقيقية) لكي يشعر كل المشتركين بالقداس الإلهي ،
مجتمعين (وليس بعضهم فقط في سر قلوبهم) ، انهم
يعيشون عنصرة متجددة . الذين أعطي لهم أن يشتركوا في
مؤتمرات لحركات الشباب الأرثوذكسي ، في مختلف أنحاء

العالم ، يفهمون تماماً ما أعني . وهذا ليس بالمستغرب أو العجيب ، إذ أنه ، بكل بساطة ، الشيء الطبيعي ويجب أن يكون عليه دائماً . وعندئذ يحصل كل واحد على القوة ليصير في حياته اليومية وفي صراعات المدينة والحضارة ، الإنسان الليتورجي الذي « يشكر في كل شيء » ، والذي يعي مسؤوليته في ضرورة السعي نحو هذه الصيرورة .

يمكن للحركة الخارزمية المعاصرة ، بالتالي ، أن توظف الأرثوذكسية وتمتد على النهضة ، جاعلة إياها تعي من جديد بُعد كنيستنا الروحي النبوي ، موجهة إياها نحو روحانية خلاقة . أما الأرثوذكسية فيمكنها أن تذكر الحركة الخارزمية بضرورة التجذر في الأسرار والحياة النسكية . على الحركة الخارزمية أن تجد ينابيعها الثابتة التي لا تنضب في الكنيسة بما أن الروح يستقر دائماً على جسد المسيح « السري » . يجب ألا تتوقف هذه الحركة أمام المثير لكي تكتشف أن الأمور العادية ، في ضوء وجه المسيح القائم من بين الأموات ، تضحى أموراً عجيبة مثيرة . على حركة الخارزماتيين أن تصبح « فرحاً حزيناً » ، لطفاً ، رافة ، روحانية خلاقة تستطيع أن « تخرج الشياطين » من التاريخ وتخصبه من جديد . عليها ألا تكف عن مشاهدة سيد العالم

